حفل أم كلثوم

اسكريبت

أمينة أحمد

_جدو نبيل

_نعم يا صغيرتي

_لماذا أسميتني فريدة؟!

ابتلع الجد ريقه بصعوبة وأمسك جبينه بيده محاولًا كبح الذكريات التي تحاول اعتصار عقله في تلك اللحظة، فلم يكن سؤال الصغيرة سؤالًا عاديًا، ولكنه كان أشبه بالقنبلة الموقوتة التي فجرت العديد من المشاعر المتضاربة ،كان سؤالًا أشبه بآلة الزمن، سؤالًا نقله في غمضة عين إلى ما قبل ثلاثون عامًا!

كان عمره عشرون عاما حين انتقل مع أسرته للعيش في بلدة أخرى غير بلدتهم، ما زال يذكر ذلك اليوم حين ذهب مع أسرته للتعرف على جيرانهم الجدد، يومها رأى فريدة كانت تصغره بخمسة أعوام، كانت تعزف على البيانو، كان لحن أغنية (مادام تحب بتنكر ليه؟!) لأم كلثوم، حينها شعر بشعور غريب، ربما كان من الصعب عليه أن يعرف ماهذا الشعور، ولكن كل ما يستطيع قوله هو أنه تعلق بفريدة منذ النظرة الأولى.

توطدت العلاقات بين الأسرتين، الآباء يذهبون ويجيئون سويًا، والأمهات يقضون معظم الوقت معًا، يتفننون في أمور الطبخ، وكثيرًا ما تجتمع الأسرتان لتناول الطعام معًا، أما نبيل وفريدة لا يفترقان أبدًا، يجتمعان دومًا حول البيانو، تعزف فريدة ويستمع نبيل، لم يكن شيء أحب إليه في الحياة من عزف فريدة، يضحكان ويمرحان طوال الوقت .

تجلس الأسرتان يوميًا يستمعون لأم كلثوم، يحتسون الشاي، فعِشق أم كلثوم كان هو الشيء المشترك بين الأسرتين .

كبُر نبيل وكبُرت فريدة، وكبُر حبهما.

يفتح نبيل النافذة وهو يستمع إلى أم كلثوم ،كان يعشق المقطع الذي تقول فيه (حبيبى يسعد أوقاته) كان يعيد المقطع أكثر من مرة حتى تسمعه فريدة وتفتح نافذتها.

قويت العلاقات بين الأسرتين أكثر وأكثر ، مرت السنوات وقرر والد نبيل العودة لبلدته هو وأسرته، وقع هذا النبأ على قلب نبيل وقع الصاعقة، اعترض ولكن دون جدوى، فوالده يحتاجه إلى جواره، أخبر والده بأنه يريد الزواج من فريدة، رحب الوالد بالفكرة .

رغم أن والد فريدة يحترم نبيل ويقدره، إلا أنه رفض أن تسافر ابنته إلى بلد آخر، فقد كانت حالة والدتها الصحية في تدني، وتحتاجها إلى جوارها، حاول نبيل الوصول إلى حلٍ وسط ، ولكن باءت محاولاته بالفشل!

حان وقت الرحيل وودعت الأسرتان بعضهما بأسى وحزن فقد مرت عدة أعوام على جيرتهما، لم يفترقان خلالها .

يومها تحدث نبيل وفريدة حديثهما الأخير، كان حديثًا مغلفًا بالدموع.

_لقد حاولت أن لا نفترق يا فريدة، ولكن للقدر رأي آخر ،ولكنني سأتذكركِ دومًا، سأتذكركِ عندما أسمع صوت البيانو، سأتذكركِ عنما أستمع إلى أم كلثوم، سأتذكركِ مع كل طرفة عين يا فريدة.

_وأنا سأتذكرك يا نبيل مع كل شروق شمس، سأتذكرك حين أفتح نافذتي لأبحث عن وجهك في النافذة المقابلة، سأتذكرك بعدد الأنفاس التي تجعلني أعيش، سأتذكرك بعدد دقات قلبي، سأتذكرك دومًا يا نبيل.

مرت السنوات ، وتزوج نبيل بأخرى، ولكن جرحه مازال ينزف ولا يضمده سوى صوت أم كلثوم .

كم تبدو الحياة قاسية حين تجبرنا على السير في طرق لا نختارها!

_جدو

أفاق الجد على صوت الصغيرة واعتدل في جلسته وهو يتنهد تنهيدة صعبة الوصف، تنهيدة تحمل كل ما مر بباله نتيجة سؤال الصغيرة، تنهيدة تحمل مشاعر جميلة ومُرة في ذات الوقت!

_ما بكِ يا صغيرتي ؟

_لِمَ لا ترد على سؤالي لماذا اسميتني فريدة؟!

_وما مناسبة هذا السؤال الآن؟

_ليس هناك مناسبة، ولكن أبي وأمي أخبراني أنك أنت من اسميتني بهذا الاسم!

_نعم أنا اسميتكِ به لأن فريدة هو أجمل اسم في العالم.

_معنى ذلك أنني أجمل فتاة في العالم، أليس صحيح؟

_بلى صحيح يا صغيرتي.

_ولماذا جيئنا اليوم إلى هذه البلدة يا جدي؟

_هذه البلدة أقمت بها عدة سنوات عندما كنت شابًا.

_لماذا جيئنا إليها اليوم؟

_جيئنا لنحضر حفل أم كلثوم.

_هل ستأخذني معك؟

_بالطبع يا حُلوتي.

تجلس فريدة في منزلها أنيقة كعادتها لم يُنقص العمر من جمالها شيئًا، يبدو منزلها كتحفة فنية، الورود في كل مكان وصوت المذياع يملأ الأركان، تستمع إلى أم كلثوم (أهرب من قلبي أروح على فين؟!)

_سارة..

_نعم يا أمي

_هيا بدلي ملابسك لتذهبين معي إلى الحفل

_ألهذه الدرجة تحبين أم كلثوم يا أمي، تستمعين إليها صباحًا ومساءًا ومع ذلك تودين الذهاب لحفلها، ألا تشعرين بالملل!

_كُفي عن الحديث واذهبي لتبديل ملابسك حتى لا نتأخر.

_حاضر يا أمي بضع دقائِق إن شاء الله أكون جاهزة.

بدأ الحفل..

جوٌ رائعٌ، تتراقص القلوب على الأنغام، وينصت الزمن لصوت أم كلثوم،
الصفوف ممتلئة، الآذان منصتة.

وفجأة يتوقف الزمن،
فقد تلاقت الأعين!
نظرت فريدة بجانبها؛ فإذا بها ترى نبيل!
نعم لم تكن تحلم، فهذا نبيل يجلس بجوارها!
لقاءٌ قدريٌ أسطوري، يالها من صدفة!
يذهبان لنفس ذات الحفل، يجلسان على المقاعد المتجاورة، صدفة ربما لا تحدث إلا مرة في العمر !
صدفة رتبها القدر ،رأفةً بقلوبهما المنهكة المتهالكة.
لمعت العيون، تلعثمت الألسن عن النطق، الزمن متوقف ينظر للعيون المتعانقة!

أخيرًا نطقت الألسنة!

_نبيل!
_فريدة!
_كيف حالك؟
_أنا بخير، وأنتِ كيف حالكِ؟
_أصبحت الآن بخير.
_أُقدم لكِ حفيدتي فريدة، ابنة ابني
_أسمها فريدة!!
_نعم، فلم أُرزق بفتاة لاسميها فريدة، فاسميت حفيدتي.
_وهذه سارة ابنتى..
_ألديكِ أبناء غيرها؟
_نعم، لديَّ نبيل، يعمل محامي.
_نبيل !!
_نعم .

عجبًا لك أيها الزمن!!
طال عناق الأعين، والدموع تطل من المحاجر، ربما دموع الوجع، ربما دموع الأنين، وربما دموع الحنين
وظهر صوت أم كلثوم يردد (وإن كنت أقدر أحب تاني هحبك أنت)